مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

# الكتاب الثاني

# البيان والتبيين

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

## كتاب العصا [1]

هذا أبقاك الله الجزء الثالث ، من القول فى البيان والتبيين [2] ، وما شابَهَ [3] ذلك من غُرَرِ الأحاديث ، وشاكَلَه من عُيون الخُطب ، ومن الفِقَرِ المستحسَنة ، والنُّتَف المستخرَجة ، والمُقَطَّعات المتخيَّرة ، وبعضِ ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكَرة ، والجواباتِ المنتخَبة .

ونبدأُ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية [4] ومن يتحلَّى باسم التَّسويَة [5]

---

(١) ما عدا ل : « هذا كتاب العصا » . وبعد العنوان : « الحمد لله ولا قوة إلا بالله وصلى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة » .

(٢) ل ، هـ : « والتبين » .

(٣) ل ، هـ والتيمورية : « وما شاب » .

(٤) الشعوبية : نسبة غير قياسية إلى « الشعوب » ، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلا على غيرهم ، بل يبالغون فى ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والحط من قدرهم ، حتى ألفوا فى ذلك الكتب . وسموا بذلك لانتصارهم للشعوب ، التى هى مغايرة للقبائل ؛ فقد قال جمع من المفسرين فى قوله تعالى : ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل ) : إن القبائل العرب ، والشعوب العجم . ويقولون : إن زياد بن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشى ألا تقر العرب له بذلك ، صنع كتاب « المثالب » وعدد نقائص العرب . كما أن النضر بن شميل الحميرى وخالد ابن سلمة المخزومى وضعا كتابا فى مثالب العرب ومناقبها ، بأمر هشام بن عبد الملك . وكان الهيثم بن عدى دعيا فى نسبه ، فصنع كتابا طعن فيه على أشراف العرب . وأما أبو عبيدة ، وقد كان أبوه يهوديا وكان يعير بذلك ، فصنع كتابا فى مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء . وجاء من بعدهم علان بن الحسن الشعوبى الوراق الزنديق ، فألف لطاهر ابن الحسين كتابا فى مثالب العرب ، بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، ولم يعبأ فى ذلك بالخروج عن أدب الدين ، وقد أجازه طاهر عليه بثلاثين ألف درهم . وصنع ابن غرسية رسالة فى تفضيل العجم على العرب . وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . انظر نوادر المخطوطات ١ : ٢٢٩ – ٣٣٠ ، وشرح البكرى لأمالى القالى ص ٨٠٨ والخزانة ( ٢ : ٥١٩ ) وبلوغ الأرب ( ١ : ١٥٩ – ١٨٤ ) . وقد أورد الأخير نموذجا لرد ابن قتيبة على الشعوبية . ولابن الكلبى كتاب فى المثالب ، منه نسخة عتيقة بدار الكتب المصرية .

(٥) أى التسوية بين العرب والعجم . ويتحلى ، أى يتصف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال أيضا :

لو أنَّ عبداً له خزائنُ ما ... فى الأرض ماعاشَ خوفَ إملاقِ
يا عجبا كلنا يَحِيدُ عن الحَيْـ ... ـن وكلٌّ لِحَينِـهِ لاقِـى
كأنَّ حَيًّا قد قام نادبُه ... والتفَّت السَّاقُ مِنْهُ بالسّاقِ (١)
واستلَّ منه حيائه ملَكُ المو ... ت خفياً وقيل : مَن رَاقِ (٢)

وقال السَّموأل بن عادياءَ اليهودىّ :

١٩٥ تُعَيِّرُنا أنّا قَليلٌ عَديدُنا ... فقلتُ لها : إنّ الكرامَ قليلُ (٣)
وما قلَّ مَن كانت بقاياه مثلَنَا ... شبابٌ تسامَى للعُلَى وكُهول
وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنَا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرِينَ ذَليلُ (٤)
فنحنُ كماء المُزن مافى نِصابنا ... كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ (٥)
وأسيافُنا فى كلِّ شرقٍ ومغرِبٍ ... بها من قِراع الدّارعِين فُلُولُ (٦)

---

(١) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة القيامة . وهو كناية عن شدة كرب الدنيا فى آخر يوم منها ، وشدة كرب الآخرة فى أول يوم منها . وقال ابن المسيب والحسن : هى حقيقة ، والمراد ساقا الميت عند مالفا فى الكفن . وقال الشعبى وقتادة : التفافهما لشدة المرض لأنه يقبض ويبسط ، ويركب هذه على هذه . تفسير أن حيان ( ٨ : ٣٩٠ ) .

(٢) اقتباس من الآية ٢٧ من سورة القيامة . وذلك إذا مرض الرجل طلبوا له من يرقى ويطب ويشفى ، وهو استفهام حقيقة ، أو استفهام إبعاد وإنكار ، وذلك حين اليأس من حياته . ومن المحتمل أن يكون القائل الملائكة ، أى من يرقى بروحه إلى السماء ، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب . وقد وقف حفص على « من » سكتا لطيفا ، كما وقف فى « بل ران » ولم يدر وجه قراءاته إلا أن يكون أراد أن يشعر أنهما كلمتان .

(٣) الأبيات فى ديوان الحماسة ( ١ : ٢٧ ) ، والأغانى ( ٦ : ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ) ، وأمالى القالى ( ١ : ٢٦٩ – ٢٧٠ ) . وانظر عيون الأخبار ( ٣ : ١٧٣ ) حيث نسب بيتين من القصيدة إلى دكين الراجز .

(٤) الأكثرون : الذين كثر عددهم .

(٥) النصاب : الأصل ، وقد أراد به العدد ، ولم تصرح المعاجم بهذا المعنى . وإنما ذكرت نصاب الزكاة ، وهو استعمال إسلامى . والنصاب : القدر الذى تجب فيه الزكاة . والكهام ، كسحاب : البطىء عن النصرة والحرب .

(٦) الدارع : لابس الدرع . والفلول : جمع فل ، وهو الثلم .

معوَّدةٌ ألاّ تُسلَّ نصالُها فتُغمَدَ حتّى يستباحَ قتيلُ
سلي، إنْ جَهلتِ، النّاسَ عنّا وعنهمُ وليسَ سواءً عالِـمٌ وجَهُـولُ

وقال الرَّبيعُ بن أبى الحُقَيق (١) :

ومن يكُ غافلاً لم يَلقَ بُوساً يُنِخْ يوماً بساحتِهِ القضاءُ (٢)
تُعَاوِرُه بناتُ الدّهرِ حتّى تُثلِّمَه كما ثُلِـمَ الإنـاءُ
وكُلُّ شديدةٍ نزلت بحيٍّ سيأتى بعد شِدّتها رَخاءُ
وبعض خلائق الأقوام داءٌ كداء الشَّيخ ليس له شِفَاءُ (٣)

وأنشد :

قد حالَ من دونِ ليلى معشرٌ قَزَمٌ وهم على ذاكَ من دونى مَوَاليها (٤)
واللهُ يعلـمُ أنّـى إن نأتْ حِجَجـا أوحِيلَ من دُونِها أنْ لستُ ناسيها (٥)

وأنشد :

وليلٍ يقولُ الناس من ظُلمَاتِه سواءٌ بصيراتُ العُيونِ وعُورها (٦)
كأنّ لنا منه بيوتاً حصينـةً مُسُوحٌ أعاليها وسَاجٌ كُسورُها (٧)

---

(١) سبقت ترجمته فى ( ١ : ٢١٣ ) . والبيت الأخير فى الحيوان ( ٣ : ٦٨ ) .

(٢) فى الأصول : « ومن يك عاقلا » .

(٣) فى حواشى هـ : « كداء البطن » فى نسخة . وبعده فى الحيوان :

وبعض القول ليس له عناج كمخض الماء وليس له إناء

(٤) القزم ، بفتحتين ، وصف يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، ومصدره القزم أيضا ، وهو فى الناس : صغر الأخلاق ، وفى المال : صغر الجسم . مواليها ، أى عصباتها وأنصارها .

(٥) ب ، جـ : « أتت حجج » مع أثر تصحيح فى ب لكلمة « حجج » . وفى التيمورية « أتت حججا » وهذه الأخيرة محرفة .

(٦) البيتان لمضرس بن ربعى الأسدى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢١٠ .

(٧) ما عدا ل : « مسوحا أعاليها وساجا » ، وبه رواية صحيحة نص عليها فى اللسان ( سوج ) عند إنشاد البيتين ، قال : « إنما نعت بالاسمين لأنه صيرهما فى معنى الصفة ، كأنه قال : مسودة أعاليها مخضرة كسورها . كما قالوا : مررت بسرج خز ، نعت بالخز وإن كان جوهرا لما كان فى معنى لين » . والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو كساء من شعر. والساج : الطيلسان الأخضر . والكسور : جمع كسر ، بكسر الكاف ، وهو جانب البيت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner